Bahra No. 396 Sun. 12 Aug 2007
العدد ٣٩٦ - الأحد ١٢ آب ٢٠٠٧ م- ٦٧٥٧ آ

الديانة الإيزدية وتراث وادي الرافدين العريق

جندي عثمان أوسو

يظهر للمتابع في ممارسة الطقوس والمراسيم الدينية في الديانة الإيزدية انه يمكن اعتبار هذه الديانة بمتحف حي يضم في طياته كل ما خلفته الحضارات القديمة في وادي الرافدين من تراث عريق حيث لا توجد ممارسة أو طقس ديني ليس له امتداد لتلك الحضارة العريقة. فمن أولى الممارسات التي أداها الإنسان القديم في عبادة مظاهر الطبيعة المقدسة، نرى احتفال أبناء هذه الديانة العريقة بعيد رأس السنة (سرى صال) الذي يصادف في أول أربعاء من شهر نيسان الشرقي.. إنه عيد الخير والبركة ونزول الملك "زان" على الأرض بأمر من الله، وهو أكبر الأعياد الدينية وأكثرها قدسية.

يعتبر شهر نيسان مقدسا عند الإيزديين، لذلك يحرم فيه الزواج كما يحرم فيه حرث الأرض. لأن نيسان هي عروس الطبيعة. ومن مراسيم هذا العيد صبغ البيض المسلوق بالألوان الزاهية والخروج مبكرا إلى السهول وسفوح الجبال لجلب ورد نيسان الأحمر وتركيزه على واجهات البيوت مع قشور البيض الملون، ويكثر اللعب بالبيض الملون.

كما أن للعيد علاقة بالرعي والغنم، حيث تقدم ربات البيوت الهدايا للراعي، ويضعن الخيوط الحمراء والصفراء والخضراء في صوف النعاج الجيد من الغنم، وبالمقابل يقمن بأخذ قطع من عصا الراعي الذي كان يرعى الغنم بها في السنة الماضية والاحتفاظ به في البيت، كما يقمن بتوزيع اللبن على البيوت وزيارة القبور وتهنئة الأقارب والأصدقاء بهذه المناسبة السعيدة. ويقوم أصحاب المزارع بنشر قشور البيض الملون على مزارعهم لتحل البركة وليزيد إنتاجها وتصبح زاهية بألوان الطبيعة المقدسة.. وسط الدعاء الى الباري بجعل السنة الجديدة سنة خير وبركة على جميع أبناء البشر.

وفي الإرث الحضاري لوادي الرافدين كانت تقام احتفالات أكيتو لآلهة الجمال والحب إنانا "نيسان" او عشتار الأم المقدسة مع إله الإخصاب دموزي الراعي في بداية شهر نيسان ولمدة اثني عشر يوما، يشترك فيه الملك بدور العريس والكاهنة العظيمة أنيتو بدور العروس.. حيث كان يقام لهما مخدع باللون الأحمر يسمى كيبارو في الطابق الثامن من الزقورة، وكانت تلقى فيه قصائد الحب والغزل والغرام من قبل العروسين.

كان يرمز لإنانا "عشتار" بعلامة النجمة المثمنة وحزمة القصب، وكان يرمز لدموزي الراعي بالثور الذي كان يمثل عنصر الذكر في الطبيعة. كما كان لإنانا إناء نذري توضع فيه الهدايا والخيرات والنذور في هذه المناسبة.. يسمى الإناء النذري السومري.. ويسميه الإيزدية إناء طاووس، توضع فيه الخيرات والهدايا المقدسة الى السنجق "طاووس" عند تجواله في المناسبات الدينية. كما أن هناك قصيدة دينية طويلة عبارة عن اسطورة قديمة تسمى "جمجمي سلطان كاي به ريس" جمجمة السلطان الذي كان يعبد الثور، تظهر فيه قوة وعدالة ذلك الرمز المتمثل بالثور في إنقاذ السلطان العادل من براثن الجحيم وإدخاله الجنة.

كما أن النجم المثمن هو رمز مقدس في الديانة الإيزدية، حيث يتواجد في الكثير من الأماكن الدينية.. أما القصب فهو يقدم عند زيارة الأماكن المقدسة للتبرك بدلا من التراب، وخاصة للعروس في يوم الزواج. ويقام للعروسين مخدع باللون الأحمر يسمى "به ري".

يأتي بعد عيد رأس السنة بستة أشهر بالكمال والتمام عيد الجماعية في الثالث عشر من شهر تشرين الأول ولمدة سبعة أيام.. تمارس فيه عدة طقوس تمثل جميعها مراسيم العزاء والحزن ودفن الموتى، مثل مراسيم تنصيب الـ "بر يات" ومراسيم تنصيب تخت شيخ عادي "به رى شباكى" وإقامة مراسيم الـ "سه ما" وأخيرا مراسيم الـ "قاباغ".. حيث ذبح الثور الأبيض بمراسيم مهيبة عند مرقد الشيخ شمس.

ان جميع هذه المراسيم تمثل ما كانت تمارس في جميع الحضارات القديمة من ممارسة طقوس الحزن الجماعي على نزول الآلهة الى العالم السفلي في فصل الخريف، حيث إصفرار النبات وموت الأعشاب، ثم الاستعداد لموسم الشتاء. ولقد جاء في ملحمة كلكامش "أنت يا دموزي لنصف السنة وأختك كشتى لنصف السنة".

ومن المناسبات الأخرى في الديانة الإيزدية والتي لها علاقة بمظاهر الطبيعة والتي كانت تمارس في الحضارات القديمة، عيد مربعانية الصيف والذي كان يحسب له أربعين يوما من أكثر أيام الصيف حرا، وكان ينتهي في اليوم الثاني من شهر آب حيث يحل العيد، وكذلك عيد مربعانية الشتاء الذي يحسب له عشرون يوما من شهر كانون الأول الشرقي وعشرون يوما من شهر كانون الثاني الشرقي والذي ينتهي في اليوم الثالث من شهر شباط ليأتي بعده العيد.

أما عيد الصوم والذي يصادف مع حدوث الانقلاب الشتوي عندما يزداد النهار على حساب الليل، وهو غالبا ما يقع بين الرابع عشر من كانون الأول ولغاية العشرين منه.. حيث يكون الصوم لمدة ثلاثة أيام. وهذه كلها من المناسبات القديمة التي كانت تمارس من قبل الشعوب التي كانت تقطن شمال وادي الرافدين.

هذا من ناحية عبادة مظاهر الطبيعة المقدسة.. أما من ناحية أدب القصائد الدينية، فهناك تشابه كبير بين ما يرو من قصائد في هذه الديانة وما كان موجودا في عبادة الديانات القديمة.

وتقول كلمات إحدى القصائد الدينية البابلية:

أعبد كل يوم آلهتك
اظهر العطف للضعفاء
لا تهين المساكين
قم بالأعمال الصالحة
وقدم العون في كل أيامك
لا تشهر بالآخرين وحدث بالحسنات
لا تقل أشياء خبيثة
وقل في الناس قولا جميلا

وهذه قصيدة صلاة آشورية بالتوجه نحو شمش، تقول كلمتها:

يا شمش منير السماء كلها
مضيء الكائنات.. يا راعي هذا العالم وما تحته
إن شعاعك يكتنف العالم مثل شبكة
وحتى أبعد الجبال تنير كل الظلام
أشعتك تسيطر على كل خفي
ليظهر سلوك البشر على نورك
جميع الكائنات تشتاق الى بهائك

إنك تنير الكون مثل نار عظيمة

وهذه قصيدة دعاء عند شروق الشمس في الصباح في الديانة الإيزدية، تقول كلماتها:

رب الشمس أنت الرحمن
رب الشمس أنت الرحيم
أنت خالقي منذ القديم
أنت خالقي العزيز
الدواء لكل داء
أنت الرحيم لجميع الكائنات
فيك المفر خالقي أنت منذ الأزل
أنت واهب الأرزاق

وهنا يتبين بأن الديانة الإيزدية هي صورة لذلك التراث العريق الذي كان يمارس قبل أكثر من ستة آلاف سنة ولا يزال.. حيث لا توجد أسطورة أو قصيدة قديمة أو ممارسة في التراث القديم إلا ويكون لها ذكر في الديانة الإيزدية بشكل أو بآخر. كما يتبين لنا بأن الشعوب التي عاشت في بلاد الرافدين من سومريين وبابليين وآشوريين وغيرهم كانوا قانعين قناعة تامة بما كانوا يعبدون، لأنهم أناس عمليون متواضعون يحبون الحياة ويستمتعون بها.. وكانت أعز أحلامهم العيش مخلدين الى الأبد، والعبرة هي بالعمل الصالح والنية الحسنة.

طوبى للذين حملوا هذا التراث العريق منذ فجر التاريخ رغم هول المصاعب.. وسلاما على الذين دافعوا عن حجر أنار الدرب للعالم أجمع.

عوامات دجلة تفقد روادها.. والبغداديات ينقطعن عن ممارسة طقوسهن قرب النهر

بهرا- متابعات

رغم مرور نهر دجلة بالكثير من المدن العراقية، الا أن لمروره ببغداد طابعا خاصا شجع الكثير من الشعراء على التغزل تارة ببغداد، وتارة أخرى بدجلة بغداد، وهذا ما جعل البغداديين يقضون أجمل أوقاتهم على شواطئ هذا النهر العظيم.. كورنيش الاعظمية والجادرية والعطيفية والكرادة والمحيط وغيرها الكثير، كانت وما زالت محط أطماع القطاع السياحي وأغنياء بغداد، يزاحمهم عليها المسئولون والمتنفذون بالدولة. انه صراع حدث سابقا وما زال يحدث اليوم، وغايته الاستحواذ على موطئ قدم على ضفاف دجلة.

عند تجوالك قرب دجلة يمكنك مشاهدة القصور الرئاسية، التي تصل أعدادها الى العشرات، وكل قصر يسمى باسم صاحبه، فهذا قصر عدي وهذا لصدام والآخر لفلان، وبقيت على تسمياتها الى الآن، رغم وجود الأميركيين بداخل بعضها والمسؤولين الجدد في البعض الآخر. ومع استحواذ هذه الطبقة على المساحة الأوسع من جانب النهر، حرمت المساحات التي تجاورها لأسباب أمنية، واكتفى البغداديون بالقليل الذي وجدوه كافيا للتمتع بمنظر نهرهم الجميل، فسارعوا إلى بناء العوامات الثابتة والمتحركة، التي كانت تعد الوسيلة الوحيدة للترويح عن العوائل التي تتجمع عصر كل يوم للتجوال في النهر، وأيضا لاقامة حفلات الأعراس والأعياد والمناسبات فيها، فيما يكتفي البعض الآخر بجلوسهم داخل العوامات الثابتة وتناول السمك (المسكوف) على الحطب. وعن مصير هذه العوامات أو (الدوب) أوضح الحاج عريبي، الذي كان يملك احداها، أن "السياحة على نهر دجلة تلاشت مع الوقت، بعد أن كانت الأكثر انتعاشا قبل عام ٢٠٠٣، وهذا كان لأسباب عدة، منها الإهمال الكبير الذي يعاني منه هذا النهر من كافة الجهات المسؤولة.. فعند مشاهدتك له الآن تجد ضفتيه قد غطيتا بشكل كامل بالقصب والبردي، فيما أغلقت مداخله لأسباب أمنية وازدادت معدلات التلوث الناجمة عن إلقاء المخلفات فيه، فيما يتحمل الوضع الأمني وتخوف الناس من التجمعات وإغلاق الكورنيشات النسبة المتبقية لهذا التدهور". وعن إمكانية العودة إليها أكد الحاج عريبي، أن هذا الأمر مرهون بتحسن الوضع الأمني قبل كل شيء، فالعراقيون قادرون على النهوض من جديد، مؤكدا وجود بوادر لكنها ضعيفة لإعادة أحياء هذه الكورنيشات. وبالقرب من دجلة يمكنك مشاهدة نساء ينزلن الى النهر ويرمين أشياء فيه، قال عنها احمد عباس الذي يملك قاربا لنقل المواطنين من الكرخ إلى الرصافة أو العكس، انها من الطقوس القديمة جدا "فهناك من ترمي (الجارة) كما يسمونها بالعراق، التي تستأصل بعد ولادة المرأة، وهناك من ترمي قطعة من الخشب تعلوها شمعة تعتقد إنها ستصل إلى مقام الخضر عليه السلام، وهناك من ترمي بقايا العقيقة أو عظام الذبيحة التي تنحر للميت وغيرها الكثير".

وأكد عباس انه كان في السابق يرى الكثير من النساء قرب النهر، أما الآن فقد تراجعت أعدادهن بسبب الوضع الأمني ومخاطر التنقل وأيضا إغلاق اغلب المنافذ التي تؤدي للنهر، وهذا الأمر يثير غضبهن ونشاهدهن دوما في عراك ومجادلات مع الحراس المسؤولين عن حماية ضفاف النهر، حتى وصل الأمر إلى قيام الأجهزة الأمنية بتطويق مساحات واسعة من ضفتي النهر بالأسلاك الشائكة من دون أن نعرف الأسباب. الحاجة أم نهاد بينت انه من غير الممكن عزلنا عن دجلة، خاصة انه يعد المكان الوحيد لراحة الأسر البغدادية، وقالت "إننا كنا وبشكل مستمر نذهب لدجلة مصطحبين أولادنا ومتاعنا للبقاء هناك حتى المساء، أما الآن فليس بمقدورنا حتى الخروج من بيوتنا، ونتمنى من المسؤولين أن يعيدوا لنا نهرنا".

قائم مقام الموصل: مقترحاتنا مهمشة وتوزيع المنتجات النفطية مر بعراقيل كثيرة

الموصل: سامر إلياس سعيد

قال السيد عامر جهاد صالح قائم مقام الموصل إن "مصير المشاريع التي تقدمنا بها إلى مجلس محافظة نينوى كان التهميش حيث كانت هنالك ضغوط بعدم مناقشة أي مشروع من قبل أطراف معينة". وأضاف في حديث خص به جريدتنا: "إنه يصطدم أحيانا باعتذار بعض الجهات في المحافظة عن مساندته"، حيث يقول إنه "بالإضافة إلى منصبه يرأس لجنة منع الذبح خارج المجازر الرسمية، وحينما نرصد المخالف علينا الالتجاء إلى السلطة التنفيذية المتمثلة برجال الشرطة الذين عادة ويكونون مستنفرين في مهمات أخرى نظرا للظروف الأمنية التي تعيشها المدينة". واسترسل صالح عن الأجواء التي رافقت انتخابه لتسلم منصبه الحالي منذ صيف عام ٢٠٠٥ حيث رافقته العديد من حالات المد والجزر "التي عززت وجود أطراف معينة تحاول إبعادي عن هذا المنصب من أجل مصالحها حيث تم انتخابي في مطلع حزيران من العام المذكور ولم أتسلم المهمة رسميا إلا بعد مرور شهر تقريبا مما زاد من قناعتي بعدم وجود الديمقراطية التي يرفع شعارها البعض رغم أن عملي في هذه الدائرة يتسم بالشفافية". وأشار إلى "تهميش محاولات إسناد تنظيف المدينة إلى المقاولين بدلا من الآلية المستخدمة في الوقت الحاضر"، وأكد على أهمية هذا الأمر حيث تتحدد أجور المقاولين حصرا في القائم مقامية، ويتم تقييم عملهم من خلال الإعلام وفتح المجال أمام المواطن ليؤكد جدارة هذا المقاول من عدمه.

وعن آلية توزيع الغاز والنفط الأبيض للمواطنين عن طريق وكلاء المواد الغذائية أشار قائم مقام الموصل إلى أن العملية ذاتها تعرضت للكثير من المعوقات والعراقيل منها تذرع أصحاب معامل الغاز بفقدان المواد الأصلية فساهمنا في توفير المادة من أجل تصليح الأعطال وتوفير الإبر الخاصة بقوارير الغاز. وأضاف: "أنه تم فتح سجلات خاصة بتوزيع المنتجات النفطية التي اعترضت بدايتها عدم استلام وكلاء الغذائية لأسهم المواطنين بسبب تعرضهم لتهديدات، وهذا ما يؤكد وجود مافيا خاصة أو شبكة تتعامل بالسوق السوداء التي تجد ديمومتها من خلال ضخ هذه المنتجات في غير منافذها الرسمية، وما واجهنا من تحديات لعل آخرها ما روجوه باعة هذه المادة في السوق السوداء من أن القائم مقام تعرض للإقالة وعودة الأزمة إلى سابق عهدها".

وعن تفعيل منظمات المجتمع المدني لدورها لخدمة المواطن قال عامر جهاد إنه مع هذا الأمر ويسعى إلى إشراك هذه الجهات لتلعب دورا أساسيا من أجل توفير الخدمات الضرورية للمواطن. وعن قضية المهجرين الذين قصدوا المدينة فقال "إن القائم مقامية لا تألوا جهدا في سبيل منحهم المواد الضرورية والتأييد اللازم لاستلام حصصهم الغذائية والمنتجات النفطية، ونحن نمد جسور تواصل مع دائرة المهجرين المرتبطة بوزارة الهجرة والمهاجرين لغرض منحهم الوثائق اللازمة التي تخولهم الانصهار في المدينة ومعاودة العيش بسلام دون ضغوطات". وعن تأييد السكن الذي ألغى دور المختار السابق الذي كان يقصده المواطن من أجل ختم الوثائق وتأييد سكنه في المنطقة المعينة.. أشار قائم مقام الموصل إلى أن "هذا الأمر بات قديما جدا ولا يواكب التطور الحاصل، وقد اقترحت شخصيا تشكيل مجالس للأحياء ينضوي بين أعضائها سكان منتخبين يرتبطون بمجلس القضاء ويشرفون على عمليات تنظيف الحي مثلا أو تقديم خدمات الماء والكهرباء بدلا من شخص واحد.. لكن المقترح عارضه البعض فكان مصيره مصير الكثير من المشاريع والمقترحات. كما اقترحت أيضا أن تنسق الجهات الخدمية في المدينة فيما بينها من اجل الاستفادة من عملية حفر الشوارع حتى لا تلجأ جهة إلى الحفر وإكمال متطلبات عملها ثم تأتي جهة أخرى وتحفر مرة أخرى لإكمال توصيلات معينة، وبذلك لا يجد المواطن مساحة للسير لتكرار أعمال الصيانة التي يجب أن تقيمها الجهات في وقت محدد".